الباب الرابع

الاستهـــــلاك

الفصل الأول : أثر العقيدة في الاستهلاك

الفصل الثانى : تقسم الحاجات بين الاقتصاد الوضعي والإسلامي

الفصل الثالث : اثر الاقتصاد الوضعي في الإسراف الاستهلاكي

الفصل الرابع : أثر الإيمان بالآخرة في الاستهلاك

المبحث الأول : أثر الإيمان بالآخرة في الاستهلاك الخاص

المبحث الثاني : أثر الإيمان بالآخرة في الاستهلاك العام

المبحث الثالث: خلاصة آثار الإيمان بالآخرة في الاستهلاك

الفصل الأول

أثر العقيدة في الاستهلاك

الإيمان بالله ﷻ واليقين بأن كل ما أمر به سبحانه وتعالى هو لخير الإنسان في الدنيا والآخرة ، والتصديق بتوجيهات الرسول ﷺ ، يشكل رسوخا في نفس الشخصية المسلمة ، وبقدر ما يكون الإيمان قويا والعقيدة مستقرة في النفس ، يكون الالتزام الأمين بأوامر الله وهديه .

وحق التشريع في الإسلام قائم لله وحده لا شريك له في الأمور كلها، فهو وحده جل شأنه صاحب الحق في تقرير الحلال والحرام، فقد ثبت في حديث رواه عدى بن حاتم الطائى ـ الذي كان متنصراً في الجاهلية ـ ثم أسلم .. أنه سمع الرسول ﷺ يقرأ قول الله تعالى :

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

[التوبة: ٣١]

فقال عدى: يا رسول الله ما عبدناهم .. فقال رسول الله ﷺ : «أليسوا يحلون لكم الحرام فتحلونه ؟ ويحرمون عليكم الحلال فتحرمونه؟»

فقال عدى: بلى

فقال رسول الله ﷺ : فتلك عبادتهم[1].

وطيب الطعام لا يستقيم من وجهة النظر الإسلامية، إلا إذا تحققت مشروعيته حيث جاء في الحديث

عنْ أَبي هُرَيْرة ﷺ قال: قال رسُولُ اللّه ﷺ : «أيُّها النّاسُ إنّ اللّه طيّبٌ لا يقْبلُ إلاّ طيّبا وإنّ اللّه أمر الْمُؤْمنين بما أمر به المُرسلين فقال يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا منْ الطّيّبات واعْملُوا صالحًا إنّي بما تعْملُون عليمٌ وقال يا أيُّها الّذين آمنُوا كُلُوا منْ طيّبات ما رزقْناكُمْ ثُمّ ذكر الرّجُل يُطيّلُ السّفر أشْعث أغْبر يمُدُّ يديْه إلى السّماء يا ربّ يا ربّ ومطْعمُهُ حرامٌ ومشْربُهُ حرامٌ وملْبسُهُ حرامٌ وغُذي بالحرام فأنّى يسْتجابُ لذلك»[2].

والتوجيهات الإسلامية في شأن ضوابط الاستهلاك يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

---

١) الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي – الدر المنثور – مرجع سابق ص٥٠٧.

٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

الحد من الاستهلاك الترفي :

المترف «مترهل ضعيف الإرادة ناعم قليل الرجولة، لم يعتد الجهد فسقطت همته، وفترت أريحيته؛ والجهد في الجهاد يعطل عليه متاعه الشهواني الرخيص، ويحرمه لذاته الحيوانية فترة من الوقت، وهولا يعرف قيمة في الحياة سوى هذه القيم الداعرة الشائنة ولا غرابة في هذا فالمترفون حريصون على حياتهم الرخوة الشاذة المريضة، حريصون على شهواتهم ولذائذهم، حريصون على أن تكون من حولهم حاشية وبطانة خاضعة لنفوذهم.

فالمتاع المترف الطويل الموروث عن الآباء ينسى الذكر، ويؤدى إلى الجدب والضحالة»[1].

والتوجيهات الإسلامية في شأن محاذير الاستهلاك الترفي، لا تلزم الفرد فحسب، وإنما تشكل توجها عاما في السياسة الاقتصادية للأمة، بحيث تحد ما أمكن الاستيراد الترفي والكمالي، والذى يهدد ميزان مدفوعاتها ويشكل تأثيراً هداماً في نفوس أفرادها.

وقد أحبط الإسلام محاولات التأثير الترفي على المجتمع ، بتوجيهات عدة، من أهمها:

● التحذير من المبالغة في الترف ، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[الإسراء: ١٦].

والمترفون في القصص القرآني هم أسبق الناس إلى الكفر، ذلك لما جبلوا عليه من الرخاوة والرغبة في الحصول على متع الحياة دون ما نصب ولا تعب، ولو على حساب ظلم الآخرين وسلب حقوقهم، ومن هنا كانت مقاومتهم لكل دعوة إصلاحية أتى بها الأنبياء والرسل، لأنها تشكل تهديداً لمصالحهم المبنية على الفساد والاستغلال، وتكسر فيهم شهوة الكبر التى يستعلون بها على المجتمع.

ومن أمارات الانهيار الاجتماعي والاقتصادي، تفشى روح الترف في المجتمع، وتحول أولوياته الإنتاجية من توفية الضرورات الأساسية للحياة، إلى ترضية نزوات الاحتياجات الترفيه.

---

١) يراجع تفصيلا فى كتاب الأستاذ / سيد قطب – العدالة الاجتماعية في الإسلام – دار الشروق القاهرة وبيروت – الطبعة الشرعية السابعة – مارس سنة ١٩٥٤.

وقد وصف الحق سبحانه وتعالى موقف المترفين من العناد والكفر في مواجهة الأنبياء والرسل ، حيث قال:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤]

وقال جل شأنه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[الزخرف: ٢٣]

الدعوة إلى عدم التبذير :

قال الله ﷻ

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧]

ومؤاخاة الشيطان نذير عذاب شديد، والمبذر مفرط في نعمة ربه حتى لكأنه قلب نعمة الله كفراً.

وحذر الله ﷻ من الاسترسال في المباهاة وحب التفاخر فقال:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[لقمان: ١٨].

جاء في الحديث :

أنّ رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا غير مخيلة ولا سرف وقال يزيد مرة في غير إسراف ولا مخيلة»[1].

وفي هذا توجيه نبوي مبارك بالتوسط والاعتدال في الاستهلاك، وفي حدود ما يليق بمستوى معيشة كل فرد.

ثم دعا الإسلام إلى تسخير مقدرات الحياة ابتغاء لمرضاة الله والتمكين لدينه. فقال تعالى:

---

١) حديث مرفوع متصل رواه أحمد في مسنده – كتاب مسند المكثرين من الصحابة – باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص.